Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (8), Issue (1) July(2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

الألوان في القران الكريم أقسامها ومدلولاتها

مدرس مساعد: الهام مالك حسين جامعة الأنبار- كلية التربية/ القائم

مدرس مساعد: نغم أمير صافي العاني جامعة الأنبار-كلية التربية الأساسية/حديثة

The Colors in the Holy Quran: Their Categories and Significance

Teacher Assistant: Al-Hameem Malik Hussein
Al-Anbar University - Faculty of Education/Al-Qaim
Teacher Assistant: Nagham Amir Safi Al-Ani
University of Anbar - College of Basic Education / Haditha
elhem.malik@uoanbar.edu. q
nagham.a.safi@uoanbar.edu

ملخص:

جاءت هذه الدراسة متقصيه اللون وأقسامه ومدلولاته في القرآن الكريم، وقد اعتمدت في هذه ا لدراسة على عدد من المصادر والمراجع وقد اعتمد البحث منهجاً تحليليا لبعض هذه الآيات على سبيل الاختيار مع عرض دلالات الألوان في الآيات الأخرى ضمن جدول النتائج، وقد بدا للبحث جملة من دلالات اللون في التعبير القرآني، منها أنّ اللونَ يرتبط بدلالة معينة على وفق السياق الذي يرد فيه والمعنى الذي يؤدّيه، محاولة الوصـول إلى دراسة وافية كافية تفتح الباب أمام الدارسين لمواصلة الاستقصاء لإثراء المكتبة العربية.**كلمات مفتاحية:** القران الكريم، الألوان، أقسام الألوان،

Summary:

This study investigates color, its categories, and its connotations in the Holy Quran. It relies on a number of sources and references, employing an analytical approach to select some of these verses while presenting the connotations of colors in other verses within a results table. The research reveals several connotations of color in Quranic expression, indicating that color is associated with a specific meaning according to the context in which it appears and the meaning it conveys. The aim is to provide a comprehensive study that opens the door for scholars to continue exploring and enriching the Arabic library.

Keywords: the Holy Quran, colors, categories of colors.

المقدمة

لقد تعددت وتنوعت أساليب الهداية في القران الكريم من خلال طرق عدة وإعجازه ووجوه فهو مائدة العلماء ، تتجدد بتجدد الأحوال ولا تنتهي عجائبه ، والمتلقي لألوان القرآن الكريم ، لا يدرك مدلولاتها ، أو أبعادها، إلا باستقصاء وتمحيص.و تتغير دلالة اللون الواحد ، فإذا ما قرات أن يد موسى البيضاء تشع كالشمس فتبهر فرعون وسحرته ، كواحدة من تسع معجزات له ، ووجوه المؤمنين البيض في يوم القيامة ببشرى الجنات ، فملتقى الألوان في القرآن الكريم ، لابد أن يستعين ببيان اللغة وأبنيتها العديدة : من نحو وصرف والرجوع الى آراء المفسرين ، ومناسبات النص ، لاقتناص دوال الألوان .وحديث القرآن عن الألوان ومدلولاتها موضوع جدير بالدراسة؛ لأنــه لا يوجد – على حد اطلاعي – دراسات تناولت الموضوع بشكل محدد ، إلا مقالات وأبحاث قليلة.أما كتب التفسير ، فلم تعن ببيان صور الإعجاز والجمال للآيات التي وردت فيها ذكر الألوان ، وجل ما ذكره المفسرون هو بيان المعنى العام ، وما دل عليه اللون المستخدم في الآية على أن مثل هذه الآيات بحاجة إلى نظرة أخرى لإظهار جمال الصورة الذي ترسمه الآية، وتنبع أهمية هذه الدراسة من مدى أهمية اللون، وهو أحد أهم عناصر الجمال في الحياة البشرية، وقد اعتمدت هذه الدراسة على ما توافر من المصادر والمراجع العربية ، وذلك في الميادين المتصلة بمضمونها التي شكلت طريقا يدخل من خلاله الى موضوعها ، أما المراجع العربية الحديثة فإنها في مجملها تشكل دراسات سابقة استفدت منها ، أما المصادر القديمة فمدت الدراسة بالمؤلفات المتعلقة باللون ومدلولاته وتفسير

القرآن الكريم .وختمت هذه الدراسة بخاتمة أوردت فيها اهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، راجيا من الله تعالى أن أكون قد وفقت في عملي هذا خدمة لكتاب الله العظيم ، وحسبي أن أخلصت النية ، وصدقت العمل ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول مفهوم اللون ومدلولاته

المطلب الأول : مفهوم اللون

أولا : اللون لغة : ورد اللون في المعاجم العربية: فقد ورد معنى اللون في معجم لسان العرب أنه: (هيئة كالسواد والحمرة ... وَلَوْنُ كُلِّ شَيْء ما فصل بينه وبين غيره ، والجمع أَلْوَان، وقد تَلَوَّنَ وَلَوَّنَ وَلَوَّنِهِ، وَالْأَلْوانُ الضُّروبُ ، واللَّوْنُ النوع، وفلان مُتَلَوِّنٌ إِذَا كَان لَا يَثْبُتُ عَلَى خُلُقٍ واحد، واللَّوْنُ الدَّقْلُ وهو: ضَرْب من النخل)[١].وورد في الصحاح أنَّ اللَوْنُ : (النوع وفلان مُتَلَوِّنٌ، إذا كان لا يثبت على خُلُقٍ واحد وَلَوَّنَ البسرُ تَلْوِينا، إذا بدا فيه أثر النضج. واللوْنُ: الدقل، وهو: ضرب من النخل)[٢].وقد تقاربت المعاجم العربية في ورود معنى اللون فيها، فكان المعنى يدور في كونه هيئة، وضرب؛ ولذلك أمثلة من الألوان.

ثانيا: اللون اصطلاحا: عرفه ابن رشد بقوله: (اللون هو اختلاط الجسم المشف بالفعل وهو (النار) مع الجسم الذي لا يمكن فيه أن يستشف وهو الأرض)[٣].أما اللون اصطلاحاً في الموسوعات الحديثة، ففيه بعض التفصيل في ضوء تطور العلم: (فيعد خاصية ضوئية، تعتمد على الموجة وطولها ، ويتوقف اللون الظاهري لاي جسم على طول موجة الضوء الذي يعكسه)[٤](واختلفت الألوان في الطبيعة وتقاربت وتعددت ، وهناك عشرات الأسماء للتعبير عن اللون الواحد وتختلف باختلاف درجات اللون الواحد، وهو ما عرف قديماً باسم "إشباع اللون" أو تأكيده)[٥]، ويعود هذا الاختلاف في المسميات والأسماء للون الواحد باختلاف القسم الدلالي الذي يرد فيه، فالأبيض في الإنسان قد يختلف عنه في الحيوان[٦]، وكان الإنسان العربي في العصر الجاهلي يلتمس أدق الفروقات في الألوان في بيئته المحيطة فيعبر عنها في أدق المسميات[٧]واللون في الحقيقة ما هو إلا طاقة وتقوم المستقبلات الضوئية في شبكية العين باستقبالها، ثم ترجمتها إلى ألوان، وتحتوي الشبكية في العين على ثلاثة ألوان هي الأحمر والأخضر ، والأزرق، وبقية الألوان تنتج عن هذه الثلاثة، وقد وجد العلماء انه عند دخول طاقة اللون الى الجسم فإنها تنبه بعض الغدد لإفراز هرمون معين لإحداث عمليات معينة تسيطر على تفكيرنا[٨].

المطلب الثاني: أقسام الألوان ودلالاتها

يمكن أن تختلف الألوان فيما بينها بسبب اختلافها في مواصفاتها الأساسية من حيث شدتها وقيمتها ، وكنهها، أما كنه اللون : فهو الفرق الصريح بينها، وأمَّا قيمتها فهي درجة استضاءتها أو عتمتها. أمَّا شدة اللون: فهي مقدار خلطه مع ألوان أخرى ودرجة نقائه.وقد تنبه بعض علماء العرب ومنهم الجاحظ، فرأى: (أنَّ الألوان كلَّها إنَّما هي من البياض والسواد ، والاختلاف على درجة المزاج، بدليل قوله: وزعموا أنَّ اللون في الحقيقة إنما هو البياض والسواد، وحكموا في المقالة الأولى بالقوة للسواد علـى البياض، إذ كانت الألوان كلها كلما اشتدت قربت من السواد وبعدت من البياض، فلا تزال كذلك إلى أن تصير سوادا)[٩].وبتفصيل أكثر فإن اللون عند العرب يشير الى دلالات نفسية واجتماعية .لقد عد أهل الفلسفة المسلمون المحسوسات من بين مقدمات المعرفة ومصادرها، مع إيمانهم بأن الحس يدرك ما هو كلي لا جزئي، و يدرك العقـل بوساطته قضاياه المشاهدة أو المحسوسة ، كما أن العقل يدرك المجريات بالحس والقياس[١٠]و أمَّا اللون عند الفقهاء المسلمين فمن أبرز الفقهاء الذين نظروا في أهمية اللون، وتصدوا له فهم ابن حزم الأندلسي (ت. ٤٥٦هـ) فـي كتابه "طوق الحمامة" و"الأصول والفروع"، أما في الأول "طوق الحمامة" فيرى أن اللون يتعدى الحس الخارجي، ليتصل بـ أجزاء النفوس ، فقد يبالغ بقوله أن المرأة البيضاء لزوج أبيض ترزق بولد أسود؛ إذا دامت في مضجعها تطالع اللون الأسود، بمعنى أن أثر اللون النفسي، يتجاوز الحس إلى الإدراك، وأما في كتابه "الأصول والفروع" فرد رأي هشام بن الحكم الذي ذهب إلى أن كل ما في العالم هو جسم، وعليه فالألوان أجسام ، لأنَّ الجسم إذا كان طويلاً عريضاً عميقاً فمن حيث وجدته وجدت اللون والحركة والطول والعرض والعمـق للون أيضا[١١]فيرد ابن حزم عليه بأن الأبعاد الثلاثة، الطول والعرض والعمق، ليست للون بل هي للجسم حامل اللون وحده ويرفض ما عداها ، وحجته " إذ لو كان للون طول وعرض وعمق، غير طول الجسم وعرضه وعمقه، لاحتاج إلى مكان غير مكـان الجسم عدا مقداره[١٢]إذن فللألوان القدرة على إحداث تأثيرات على الإنسان، فلديها القدرة للكشف عن شخصية الإنسان، لما لكل منها من ارتباط بمفهومات معينة ولما يملكه من دلالات وإيحاءات خاصة، وفيما يلي دلالات الألوان النفسية كما ذكرها الدكتور أحمد مختار عمر[١٣]:فالأزرق القاتم هو الذي يدل على الخمول والكسل والهدوء والراحة، أمـا الفاتح فيعكس الثقة والبراءة والشباب، والأزرق العميق يدلُّ على التميز والشعور بالمسؤولية.أما الأصفر فيرتبط بالتخف والتهيؤ للنشاط، وأهم خصائصه اللمعان والإشعاع والإثارة والا انشراح، ولأنه أخف من الأحمر فهو أميل إلى الإيحاء منه إلى إثارة الانفعال، و الأصفر المخضر من أكثر الألوان كراهية، وهو يرتبط بالمرض والسقم والجبن والغدر والخيانة.أما الأحمر فيرمز إلى العاطفة

والرغبة البدائية والنشاط الجنسي ، وكل أنواع الشهوة، ويشير اللون الغامق منه إلى الانبساطية والنشاط والطموح، أما الفاتح فيدل على التهور وعدم النضج، كما يدل على الحيوية والشباب.أما الأخضر فيرتبط بمعاني الدفاع والمحافظة على النفس، فهو إلى السلبية أقرب منه إلى الإيجابية، ويمثل التجديد والنمو والأيام الحافلة للشبان الأغرار.أما الأبيض فيرمز للطهارة والنقاء والصدق أما الأسود فيرمز الى الحزن والألم والموت، كما أنّه رمز الخوف من المجهول والميل إلى التكتم.

المطلب الثالث : اختلاف الألوان

لقد من الله على خلقه بنعمة الألوان المختلفة في مظاهر كثيرة من مخلوقاته، كالزروع والثمار، والطبيعة، والشراب، بل والناس أنفسهم، فقد لون الله الخليقة بما يناسبها، حتى تبدو في معرض بديع من الألوان ، ولعل هذه الآية تجمع لنا مشاهد منوعة من ألوان الطبيعة قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[١٤].(فألوان الثمار مثلا، معرض بديع للألوان، يعجز عن إبداع جانب منه الرسامون في جميع الأجيال، فما من نوع من الثمار، يماثل لونه لون نوع آخر، بل ما من ثمرة يماثل لونها لون أخواتها من النوع الواحد، فعند التدقيق في أي ثمرتين أختين يبدو شيء من اختلاف اللون، وينتقل من ألوان الثمار إلى ألوان الجبال نقلة ظاهرها، ولكنها من ناحية دراسة الألوان تبدو طبيعية، ففي ألوان الصخور شبة عجيب بألوان الثمار، وتنوعها، وتعددها ... و الجدد، والطرائق والشعاب)[١٥](وهنا لفتة في النص، فالجدد البيض مختلف ألوانها فيما بينها، والجدد الحمر مختلف ألوانها فيما بينها، مختلف في درجة اللون، والتظليل، والألوان الأخرى المتداخلة فيه، وهناك جُدَدٌ غرابيب سود حالكة شديدة السواد، كما اللفتة إلى ألوان الصخور، وتعددها، وتنوعها داخل اللون الواحد، بعد ذكرها إلى جانب ألوان الثمار، تهز القلب هزاً، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي، التي تنظر إلى الجمال نظرة تجريدية، فتراه في الصخرة كما تراه في الثمرة، على بعد ما بين طبيعة الصخرة، وطبيعة الثمرة، وما بين وظيفتيهما في تقدير الإنسان، ولكن النظرة الجمالية المجردة ترى الجمال وحدَه عنصرا مشتركا بين هذه وتلك، يستحق النظر والالتفات)[١٦]ومن جانب آخر، فإن الأعراق البشرية بألوانها ، الصفر، والحمر، والبيض والسود، أجمل ألواناً من بين المخلوقات، فالسُّود صبغهم الله بجميل اللون الذي يناسبهم، وكذا البيض، فلا فرق في الجمال ما دام التلوين يظهر في صور بديعة جميلة ، وكثيرا ما يكون الأسود أمتع للنفس من الأبيض، ... ومقابلة البياض بالسواد ليس مقابلة الجمال بالقبح... إذ إن للبياض مواضع زينة، وقبح وللسواد مواضع زينة، وقبح،.. فليس كل أبيض جميل، ولا كل أسود قبيحا[١٧]وذهب بعض المفسرين أن التأويل لقوله تعالى : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[١٨] ، وقوله تعالى: ﴿زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾[١٩]، أي: (باختلاف الأجناس والأصناف أبلغ من اللون الحقيقي، ولعلهم نظروا إلى تعدد النعم في أصناف المآكل والثمار، وهذا لا يدفع ، لكن من تأمل الأرض وهي لوحة من الجمال في تعدد الألوان، واختلافها، سواء أكان ذلك في النبات، أو الثمار ، أو الجبال، أو الحيوان، أو الإنسان، أو أي شيء من مخلوقات الله على هذه الأرض)[٢٠]إنَّ المتأمل في ذلك يدرك المراد قطعاً من الآيات هو اختلاف الألوان، فهو يشكل لوحة الإعجاز ، ومظهراً من مظاهر القدرة والعظمة، وبديع الصنع والهدف من التنويه به التأمل والنظر، ليصل الإنسان إلى الخشية ، والتعظيم لله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٢١]والعلماء المشار إليهم هنا هم العالمون بتلك الآيات في طيات الكون من معالم قدرة الله في الخلق، قال الألوسي: (والمراد بالعلماء العالمون بالله عز وجل، وبما يليق به من صفاته الجليلة، وأفعاله الحميدة، وسائر شئونه الجميلة، لا العارفون بالنحو والصرف حَسْبُ مثلا، فمدار الخشية ذلك العلم، لا هذه المعرفة فكل من كان أعلم به تعالى كان أخشى)[٢٢].

المبحث الثاني دلالات اللون في القران الكريم

المطلب الأول : اللون بصيغة الإفراد والجمع

ورد لفظ ألوان ومشتقاته في تسع آيات فقط من القرآن الكريم، فقد ذكر لفظ ألوان وهو جمع كلمة (لون) في القرآن الكريم في مواضع سبعة أيضاً ولكن في ست آيات، كإشارة من المولى عز وجل إلى الأطياف اللونية السبعة المعروفة التي يتكون منها الضوء الأبيض، كما جاء ذكر لفظ لون مفردة مرتين في آية واحدة من آيات القرآن الكريم. ولقد وردت تلك الألفاظ في المواضع التالية:

أ. لفظ لون: يقول – تعالى –: (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لنَا مَا لَوْنَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنَهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ)[٢٣]

ب. لفظ ألوان: أمَّا وروده جمعا فكان في سبع آيات توزعت على مخلوقات الله في الأرض مفصلة كما في قوله تعالى: (وَمَا ذَ رَ أَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمِيَذَّكَّرُونَ)[٢٤] ووردت في الحديث عن النحل في سورة النحل في قوله – تعالى –: (ثمَّ كُلى مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفَ الْوَانَهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

لقوم يتفكرون)[٢٥]وعلى اختلاف الألسنة البشرية وألوان الناس كقوله تعالى –: (وَمِنْ آيَتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ واختِلافُ السِنَتِكُم وأَلْوَانِكُم إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ للعالمين)[٢٦]، وعلى الثمار المختلفة كما في قوله وعلى الجبال المختلفة الألوان، كقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانَهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيض مختلف أَلْوَانِهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ)[٢٧]وعلى الناس والدواب كقوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِف أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)[٢٨]وعلى الزروع المختلفة الألوان، كقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فسلكة ينابيع في الأرض يُخرج به زرعا مختلفا ألوانه لم يُبيحُ وَ المُصفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلَهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأوْلِي الأَلْبَابِ)[٢٩].

(والمتبصر في هذه الألفاظ، يجد في لفظي سورة البقرة، تحديدًا لماهية اللون، في حين وردت الألفاظ السبعة الباقية مقترنة بلفظي المصدر (الاختلاف، أو باسم الفاعل المختلف) ويبدو واضحًا أن اللون هنا يرتبط ارتباطا وثيقا بهذه اللفظة التي تدل على الفروق والتباين وتعدد المشارب، لإظهار أمرين هما:الأول: قدرة الله سبحانه وتعالى وإعجازه فيما خلق من كائنات ومخلوقات، وما يضفي عليها من سمات وأوصاف في اختلاف الألسنة، وتباين الناس في اللون والميل، واختلاف الكائنات الأرضية الحية والنباتية والجامدة وما ينتج من البطون الجامدة والحية.والثاني: دعوة الإنسان إلى التبصر والتفكر ؛ لأن عددًا من هذه الألفاظ اللونية قد سبق بقوله تعالى: "ألم تَرَ أنَّ الله .." وفي هذا دعوة صريحة للنظر بالعين، والتفكير بالعقل، والتبصر بالقلب، لدراسة هذه الظاهرة التزيينية دراسة واعية نستخلص منها العبرة والموعظة ونقر للخالق بالتفرد والابداع والاعجاز)[٣٠] والألوان هنا تأتي للتعبير عن " الأصناف " و" الأجناس " أو الهيئات " قال قال الطبري في تفسيره للفظ ألوان: يعني أنواعاً وأصنافاً مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم وأرز ونحو ذلك من الأنواع المختلفة[٣١] ، أو قد تأتي لتدلّ ل على اختلاف الطعم كما في سورة النحل (يَخْرُجُ مِن بُطُونَهَا شَرَابٌ مُّخْتَلَفَ أَلْوَانُهُ) [٣٢]، وقال الزمخشري: ألوانها: أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر، أو هيئاتها من الحُمرة والصفرة والخضرة ونحوها[٣٣].أما توزيع الألوان حسب ذكرها وتكرارها فيمكن توضيحه في الجدول التالي:

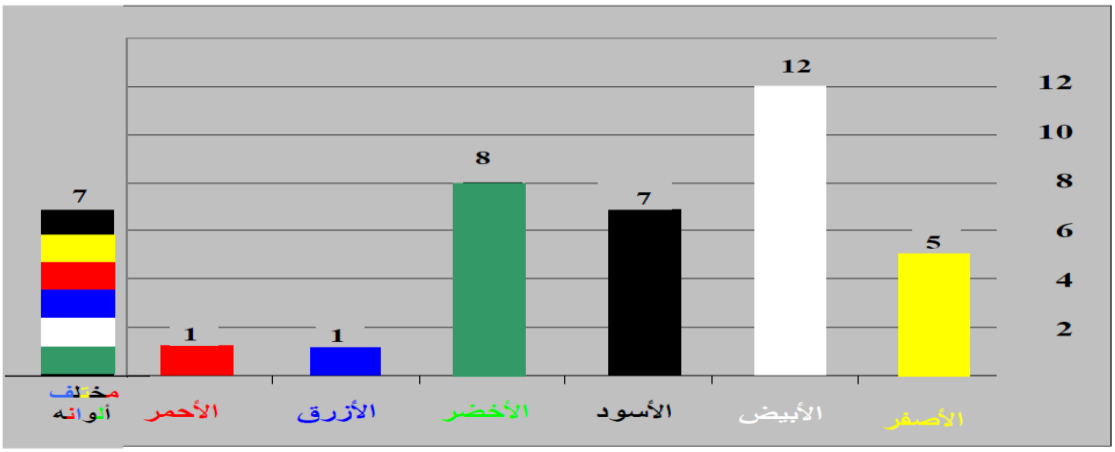

توزيع الألوان حسب تكرارها في القرآن الكريم

المطلب الثاني: دلالة ذكر اللون بصورة مباشرة ص١٥٧ اللون٢

أولاً: للدالة على الحياة الدنيا:ورد التعبير في آيات كثيرة ليعبر بصورة مباشرة من معان كثيرة تتعلق بالحياة الدنيا ، من ذلك تأويل يوسف ﷺ للسنبلات الخضر التي رآهن فرعون بالسنين المخصبات في قوله تعالى : (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا في سبع بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَتٍ لَعَلَّ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ)[٣٤] ، ومن ذلك التعبير باللون الأخضر عن معنى الخصب في قوله تعالى : (فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حبا مُتَرَاكِبا) [٣٥] ، فهو هنا الزرع الأخضر ، وغالبا ما يُعبر باللون الأخضر عن الخصب والنماء والري والنعومة في الحياة الدنيا فاللون الأخضر لون التفاؤل وارتياح النظر ، لا يصيب مشاهده بالكآبة والضيق، وإنما يضفي عليه راحة وجمالا؛ لذلك اختير لما يلبسه أهل الجنة[٣٦]وفي آية أخرى يذكر اللون الأخضر على سبيل الكناية اللونية في قوله تعالى : (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِنْهُ تُوقِدُونَ)[٣٧] ، فالشجر الأخضر الذي يصبح حطباً للنار هو من آيات خلق الله وعظمته، فهو بوصفه الأخضر يعني أنه رطب يسري الماء في أو عينه وتجاويفه ، ولكن بقدرة الله يتحول إلى حالة أخرى بعد جفافه ليصبح ناراً.والكناية باللون الأخضر تشير إلى الحياة المنبثقة من أعماق التربة الميتة[٣٨] ، فاللون الأخضر قد ورد في الآية بصورة حسية مشاهدة يستدل بها القرآن على إمكان البعث والنشور لأجل الحساب والجزاء.لقد جاءت الكناية هنا في سياق إنكار البعث بعد الموت: (قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) [٣٩]والذي سوّغ هذا التركيب كناية لونية طبيعة الأسلوب الكناني الذي يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز، فالمعنى القريب للكناية إبراز الشيء من ضده وهو اقتداح النار من الشيء الأخضر

، فالماء يطفئ النار لكنها خرجت مما هو مشتمل عليه[٤٠] والمعنى الآخر هو قدرته تعالى على إحياء العظام المالية وإعادتها خلقا جديدا[٤١] فالتعبير الكنائي قائم على التضاد ، فالتضاد من شأنه أن يجلي المعنى المكنى عنه في أعمق صورة ، فالشجر الأخضر بما فيه من رواء وماء هو نقيض (النار)، وما تعرضه الكناية هو حالة محسوسة مشاهدة في صورتها ومعناها لكنها تشير إلى المعنى البعيد المكنّى عنه وهو إخراج الحياة من الموت، وهكذا يقرب القرآن إلى الأذهان حقيقة البعث والنشور فهو يجعل من هذه المحسوسات في الطبيعة القرآنية شاخصا للعيان يستدل بها على أنهم سيبعثون، وأنهم سيحاسبون على ما يقترفون[٤٢]ويأتي اللون الأصفر في عالم النبات أيضا في قوله تعالى : (ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَكَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا)[٤٣] ، فسياق الآية كاملا يمثل حقيقتين : الحياة المتجددة في أزهى صورها وبريقها وألوانها المختلفة وحقيقة الموت والفناء في صورة حية مشهودة تتلاها العين ويحسها الفكر والوجدان[٤٤] ، وفي ورود الألوان المختلفة في الزرع تذكير لأولي الألباب من الناس للتفكر في خلق الله ، فالزرع الأخضر الهائج استوى على سوقه أصفر، جعله الله حطاماً بعد نضرة وهياج يسرّ الناظرين[٤٥]، وقد جاء اللون الأصفر في الأمة كناية عن الموت المرتبط بالزرع في كل هيئاته وأشكاله وألوانه بعد تحوله من ذروة الحياة في تشكيلها الجمالي إلى الموت ، أما المعنى الأخر لهذه الكناية فقد قال عنه ابن كثير : هكذا الدنيا تكون خضرة نضرة حسناء ، ثم تعود عجوزا شوهاء والشاب يعود شيخاً هرماً كبيرة ضعيفة وبعد ذلك كله الموت[٤٦] ، فمهما طال عمر الإنسان فلابد من الانتهاء إلى أن يصير مصفر اللون متحطم الأعضاء متكسراً كالزرع بعد نضرته، ثم تكون عاقبته الموت

أما اللون الأسود فهو لون آخر من التصوير القرآني، إذ يوصف به من يبشّر بالأنثى فهو حزين ومغتم ، قال تعالى : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ)[٤٧] ، فقد تواشجت الكفاية اللونية بالاستعارة التصريحية (كظيم) فهي كناية عن الغم والحزن ، فالعرب تقول لكل من لقي مكروها أنه قد اسود وجهه[٤٨] ، فهو يغالب ثورة من الحزن والضيق يكتم غيظه ويداريه ، فالكناية باللون الأسود تكثيف للحالة النفسية للذي يبشر بالأنثى، ولا شك في أن الكناية فيها سخرية لاذعة وهي تصور هذا الشخص مسود الوجه متواريا عن الناس ، مغالبا لصراع رهيب في نفسه من مجرد أن يبشر بولادة بنت له[٤٩] ، ويتجلى أيضا هوان المرأة وما تلاقيه من تعسف وظلم في المجتمع وفيها دلالة على تبشيع هذه العادة الجاهلية وتفظيعها.

ثانياً: قصص الأنبياء:ورد ذكر اللون الأبيض في قصص الأنبياء في القرآن الكريم ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَبَيْضَاءُ لِلنَّظِرِينَ)[٥٠] ، والنزع إخراج الشيء من مكانه، أي أخرجها من جيبه أو من جناحه، فكان لها نور ساطع يضيء ما بين السماء والأرض ، وقوله للنظرِينَ يتعلق ب بيضاء أي؛ فهي بيضاء للناظرة، ولا تكون كذلك إلا إذا كان بياضها بياضاً عجيباً خارجاً عن العادة يجتمع الناس للنظر إليه كما تجتمع النظارة للعجائب[٥١](٢٣)وتذكر القصة في موضع آخر نفس الحدث وبصيغة أخرى قال تعالى : (وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةً أُخْرَى)[٥٢] أي تخرج بيضاء من غير برص نوراً ساطعاً [٥٣]في قوله تعالى : مِنْ غَيْرِ سُوءٍ نكتة بلاغية تتمثل بفنّ الاحتراس، فهو احتراس من أن يفهم البياض في اليد أو أنه السحر أو أي شيء آخر، فنفى توهم من يتوهم أو غيره ، لإثبات أن اللون الأبيض هنا أنه برص إنما هو معجزة خارجة لما كانوا يدعونه من السحروفي موضع آخر قال تعالى : أَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ)[٥٤] (٢٦) وقال في سورة النمل : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ)[٥٥] ، وسبب المغايرة بين الفعلين هو تردّد سلوك الأمكنة والسبل في سورة القصص، فقد ذكر سلوك الصندوق بموسى، وسلوك أخته وهي تقصن أثره، وسلوك موسى الطريق إلى مدين بعد فراره من مصر، وسلوكه السبيل إلى العبد الصالح في مدين، وسير موسى بأهله وسلوكه الطريق إلى مصر، ولكنه لم يذكر في سورة النمل شيئا من ذلك السلوك والسير ، أما الفعل (دخل) فقد تكرر خمس مرات في سورة النمل[٥٦] (٢٨)

ثالثا : مشاهد القيامة ومن مشاهد التعبير باللون هو ما يعبّر عنه اللون يوم القيامة، فيتقابل اللون الأبيض واللون الأسود في قوله تعالى : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَنِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[٥٧] فهذه الإشارة الكنائية تطوي معاني وإيحاءات وهي تعلو الوجوه، فتشير إليها دون وسائط بين المكني به (اللون الأبيض) والمكنى عنه (حال المؤمنين هناك) والمكني به (اللون الأسود) والمكني عنه (حال الكافرين هناك) [٥٨] ، فضلا عما في ذلك من تشويق وترهيب.

ومن هنا ننتقل إلى استقرار كل فريق في مكانه ، ونبدأ بأهل الجنة ، ليدخل اللون في وصف حالهم في قوله تعالى : (يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّرِبِينَ)[٥٩] ، إذ جاء اللون هنا صفة للكأس، وقيل للخمر فهي أشد بياضا من اللبن ، ذات لذة ولا تذهب بعقولهم ، وقد جرى تأنيث الوصف تبعا للتعبير عن الخمر بكلمة كأس ، على أن اسم الخمر يذكر ويؤنث وتأنيثها أكثر[٦٠]ومن الترغيب أيضاً قوله تعالى في وصف ما أعدّ لهم في الجنة : ﴿ وَعِندَهُمْ قَصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مكنون)[٦١]فهو وصف لرقة نساء الجنة جاء على سبيل التشبيه ، والبيض المكنون

هو بيض النعام ، والنعام يكن بيضة في حُفر في الرمل ويفرش لها من دقيق ريشه، فيكون البيض شديد اللمعان وهو أبيض مشوب بياضه بصفرة وذلك أحسن ألوان النساء ، وقديماً شبّهوا الحسان ببيض النعام[٦٢] .قال أمرؤ القيس :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها .... تمتعت من لهو بها غير معجل[٦٣]

وفي وصف ثياب أهل الجنة يدخل اللون الأخضر ، ولهذا اللون بعد جمالي يتجلى من خلال ارتباطه بالحقول والحدائق والأشجار، وهذا الارتباط يشير إلى الخصب والرزق ولذلك جاء من الألوان التعليم في في قوله تعالى : (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ)[٦٤]اللون الأخضر هنا يمكن عده كناية تشير إلى معناها المكنى عنه البعيد ويتمثل في الخلود، أي خلودهم في جنات النعيم لكرامتهم على الله تعالى الذين أخلصوا له فأكرمهم بالنعيم الدائم، فهو لون يشير إلى النعيم المادي والروحي سواء[٦٥] ، واللون الأخضر هنا جزء من الترغيب، إذ هو أحد الألوان إلى البشر، فهو لون الحقول والغابات والحدائق ، وهو لون الأمان والسلام ، فالناس يرمزون إلى السلام بغصن الزيتون الأخضر الدائم الخضرة[٦٦] ، فضلا عن أن اللون الأخضر أعدل الألوان وأنفعها عند البصر وكان من شعار الملوك[٦٧]وقد خص الله تعالى أهل الجنة بهذا اللون إذ هو موافق للبصر ، ولأن البياض يبدد النظر ويؤلم ، والسواد يُذم ، والخضرة بين البياض والسواد[٦٨].

النتائج:

لقد أبرزت دراسة اللون أمورا ، مهمة ، أن اللون يعني أحد القيم الخالدة الحق والعدل ، وقد عرض القران الكريم الألوان من الطبيعة الملونة وتوزعت على النبات من زرع وثمر وشجر ، مختلفا ألوانه ، فرشت النحل منه عسلا مختلفا ألوانه ، فيه شفاء للناس ، كما شمل اللون من الطبيعة الجبال ، مختلفة الألوان من بيض وسود وحمر ، على محمل من تدبيج بلاغي ، فسبحانه من بديع للسموات و الأرض وما فيهن من خلق عجيب

فاللون يتعارض داخله عن ظاهرة أحيانا ، من منحى نفسي ، فيد موسى عليه السلام جعلها الله – تعالى – بيضاء فترة قصيرة ، ليثبت للسحرة معجزة ، فآمنوا ولكنها لو بقيت كما هي بيضاء على أدمته لأبرزته أبرص على نحو من لون غير مرغوب فيه ، وإذا كان اللون الأبيض في يد موسى ﷺ ، جاء معجزا فعاد للونه بعد المعجزة فأن عيني سيدنا يعقوب ابيضتا من الحزن على ولده يوسف حينا من الدهر ، وعادتا تبصران بعد عودة ولده فلم يكن اللون الأبيض مريحا، ولكنه لما استنشق ريح قمص يوسف ، عاد فقرت عينه وعاد النور اليهما ، بعد أن أظهر الله تعالى قدرته ، كل ذلك كان إعجاز بدلالات اللون.

الخاتمة:

تعدّ ظاهرة اللون في القرآن الكريم من مظاهر الإعجاز في كتاب الله نظراً لما تقدمه للإنسان من دلالات نفسية ، وبما تثيره من مشاعر وأحاسيس تبعث على التفكير والتدبر، وهي بحاجة إلى مزيد من البحث والاستقصاء ، واللون نعمة كغيرها من النعم ، ووسيلة من وسائل التعبير ،والخطاب واللون قوة موحية تؤثر في جهازنا العصبي فيبعث فرحة لا يستهان بها عندما تراه، وهو شعر صامت نظمته بلاغة الطبيعة وبيانها.

لقد استوعبت اللغة دلالات اللون وتدرجاته وتبايناته المختلفة ، وتنبثق هذه الدلالات من التعبير القرآني في استخدام اللون للتعبير عن المعاني، ولم يكن ذكر اللون في القرآن على معناه اللغوي ، وإنما كان وسيلة من وسائل التعبير عن الدلالات المختلفة في القرآن وطريقا من طرق الدعوة القرآنية إلى التوحيد ، بالترغيب حينا والترهيب حينما آخر ، وقد بدا للبحث أنّ الألوان في القرآن الكريم جاءت لتؤدي دلالات متنوعة نوجزها في جدول بعد هذه الخاتمة ، وهذه الدلالات قد استنبطت من آيات كثيرة ورد فيها اللون المباشر وغير المباشر، ومنها ما لم يرد تحليله في صفحات البحث لصغر حجمه، ولكن إدراجها في الجدول يشير إلى استقرائنا لها وبحثنا في دلالاتها، علها تفتح آفاقا واسعةً للباحثين في دراسة هذه الظاهرة القرآنية من وجوه لغوية أخرى غير الوجه البلاغي

هوامش البحث

---

(١) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . (د.ت). لسان العرب دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (لون)، باب النون فصل اللام.

(٢) الرازي حمد بن أبي بكر بن عبد القادر(٢٠٠٥). مختار الصحاح دار المعرفة للطباعة والنشر، باب (لون).

(٣) ابن رشد، الرسائل(١٩٤٧م) ، مطبعة دار المعارف العثمانية بحيدر أباد ط/الأولى ، ص ٢٩

(٤) غربال، محمد شفيق وزملاؤه (١٩٨٦) . الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة ،لبنان، بيروت، لبنان، مج ٢، ص ١٥٨١

(٥) خليفة، عبد الكريم، (١٩٨٧) الألوان في معجم العربية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ص ٣٧-٣٦

(٦) ينظر: أبو صفية، جاسر خليل (١٩٩٠). الدقة العلمية في مسميات الألوان في اللغة العربية، بحث قدم في مؤتمر العلمي حول الكتابة العلمية في اللغة العربية، بنغازي.

(٧) جبري، شفيق، (١٩٦٧) لغة الألوان، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ص٢٠٠

(٨) الشعيلي، سليمان بن علي، الألوان ودلالتها في القران، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والانسانية، المجلد٤ العدد٣، الامارات: ص٦٢

(٩) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (١٩٦٩). كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، ط٣، ج ٥، ص ٥٩

(١٠) العراقي، عاطف (١٩٨٤) . ثورة العقل في الفلسفة العربية، ط٥، ص٤٨، وما بعدها

(١١) ينظر: بن حزم، أبو محمد، (١٩٧٨). الأصول والفروع تحقيق محمد عاطف العراقي وزميليه، ط١، دار النهضة العربية، ح١/١٤٥

(١٢) ابن حزم، أبو محمد (١٩٧٦)، الأصول والفروع، تحقيق محمد عاطف العراقي،ط١، دار النهضة العربية، ١٤٦/١

(١٣) عمر، احمد مختار (١٩٩٧)، عالم الكتب للطباعة والتوزيع، ط٢، القاهرة: اللغة واللون: ١٦٤

(١٤) سورة فاطر: الاية٢٧.

(١٥) قطب، سيد (١٩٩٦)، في ظلال القران، دار الشروق، القاهرة، ط٢٥، القاهرة: ٤/ ٢٩٤

(١٦) قطب، في ظلال القران: ٤/ ٢٩٤

(١٧) حمدان، نذير (٢٠٠٢)، الضوء واللون في القران الكريم–الإعجاز الضوئي اللوني، دار ابن كثير، بيروت، ٦

(١٨) سورة النحل، الاية ١٣

(١٩) سورة الزمر، من الاية ٢١

(٢٠) الألوسي، شكري(١٩٨٥)، روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط٤، ج ١، ص ١١٠، ج ٢٣، ص٢٥

(٢١) سورة فاطر، من الآية: ٢٨

(٢٢) الألوسي، روح المعاني، ج٢٢،ص١٩

(٢٣) سورة البقرة: ٦٩

(٢٤) سورة النحل: ١٣

(٢٥) سورة النحل: ٦٩

(٢٦) سورة الروم: ٢٢

(٢٧) سورة فاطر: ٢٧

(٢٨) سورة فاطر: ٢٨

(٢٩) سورة الزمر: ٢١

(٣٠) قرانيا، محمد، ظاهرة اللون في القرام الكريم، بحث منشور في مجلة التراث العربي، العدد٧٠، السنة الثامنة عشر، ١٤١٨هـ، الإمارات، ص٨٧–٨٨

(٣١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (١٩٩٢) جامع البيان في تاويل القران، دار الكتب العلمية ،بيروت، ٦٢٦/١٠

(٣٢) سورة النحل،الاية٦٩

(٣٣) الزمخشري، ابوالقاسم جار الله بن محمود، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل، دار الفكر، القاهرة، ٣٠٧/٣

(٣٤) سورة يوسف، الآية ٤٦

(٣٥) سورة الأنعام، الآية ٦٦

(٣٦) ينظر: الهاشمي، عبد المنعم(١٩٩٩)، الألوان في القرآن، ، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ص١٢٣

(٣٧) سورة يس، الآية ٨٠

(٣٨) ينظر: رمضان، أحمد فتحي، الكناية في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٥ م: ص/ ١١٥

(٣٩) سورة يس، الآية ٨٠

(٤٠) ينظر: أبي حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط (١٩٩٢) ، مراجعة حنفي محمد جميل، دار الفكر ، بيروت، ط ١، ٣٤٨/٧

(٤١) ينظر: الطبري، جامع البيان، ٢١/٢٣-٢٢

(٤٢) ينظر: الزيدي، كاصد ياسر، الطبيعة في القرآن الكريم، ، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١ م: ص/ ١١

(٤٣) سورة الزمر، الاية٢١

(٤٤) ينظر: رمضان، الكناية في القرآن الكريم: ص/ ١١

(٤٥) ينظر: الهاشمي، الألوان في القرآن: ص/ ٧

(٤٦) ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٤١١ ى/ ١٩٨١ م: ٥٠/٤

(٤٧) سورة النحل، الآية ٥٨

(٤٨) ينظر: القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن (١٩٥٢) ، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، دار الشعب ، القاهرة، ط ١، ١١٦/١٠

(٤٩) ينظر: حفني، عبد الحليم، أسلوب السخرية في القرآن، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٨ م: ص/ ١٧١

(٥٠)

(٥١) ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير (١٩٩٥) قدم لو الشيخ خليل الميس، دار الفكر ، بيروت، : ١٩٦/١٤

(٥٢) سورة طه ، الآية ٢٢

(٥٣) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن:١٦٤/٧

(٥٤) سورة القصص، من الآية/ ٣٢

(٥٥) سورة النمل ، من الآية/ ١٣

(٥٦) (الآيات،١٢ ،١٨ ،١٩ ، ٣٤، ٤٤) من سورة النمل

(٥٧) سورة آل عمران، الآيتان/ ١١٧ ١١٦

(٥٨) ينظر: البدري، علي، (١٩٨٤) علم البيان في الدراسات البلاغية، مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ص٢٨٠

(٥٩) سورة الصافات، الآيتان/ ٤٦ -٤٧

(٦٠) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير،: ١١٢/١٢

(٦١) سورة الصافات، الآيتان/ ٤٨-٤٩

(٦٢) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير ،١١١/١٢

(٦٣) ديوان امرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤ م : ص/ ١٣

(٦٤) سورة الكهف، من الآية/ ٣١

(٦٥) ينظر: رمضان، الكناية في القرآن الكريم: ص/ ١١٧

(٦٦) ينظر: الهاشمي، الألوان في القرآن: ص/ ١١١

(٦٧) ينظر: الهاشمي، الألوان في القرآن: ص/ ١٠٩

(٦٨) ينظر: رمضان، الكناية في القرآن الكريم: ص/ ١١